ومما يؤيد هذا أيضاً أن النساء اللواتي اشتهرن بالفلسفة (كهيباتيا) وغيرها لم يبدعن مذاهب جديدة بل إتبعن المذاهب القديمة وحللنها وهذبنها . فالمرأة أقرب الى الاتباع منها الى الابداع. وهي لا تقبل الحقائق المؤقتة ، بل تريد أن يكون كل شيء نهائياً فتسبغ على الحقائق العلمية حلة دينية وتقلب النسبي الى مطلق . إن تلاميذ الفلسفة يفضلون الكليات الفلسفية على الجزئيات ، فيضخمون الفكر البسيطة ويعممونها حتى تشمل الكون كله . أما تلميذات الفلسفة فيملن الى الجزئيات ويرغبن في التحليل دون التركيب : فعقل المرأة عقل تحليلي ، أما عقل الرجل فعقل تركيبي . نعم إن المرأة واسعة الخيال ، ومن صفات الخيال الواسع أن ينشيء ويبدع ، إلا أن خيال المرأة يصلح لتبديل صور الأشياء وتغيير حقائقها لا لإنتاج الفرضيات المنظمة وإصلاح الواقع بها .

* * *

تلك هي أنواع النساء من الوجهة النفسية . فالمرأة الحساسة تصلح للشعر والموسيقى والتصوير والتمثيل ، والمرأة الحساسة الذكية تصلح للحياة العملية من تجارة وإدارة ، والمرأة المفكرة تصلح للعلم والفلسفة . وقد تمتزج هذه الصفات فتجتمع في امرأة واحدة ، فيكون منها نوع معتدل صالح للقيام بجميع الأعمال .

وقد أخذت صفات المرأة تتبدل في الهيأة الاجتماعية الحديثة لأنها قد شاركت الرجل في جميع الأعمال من تجارة وصناعة وإدارة واقتصاد وسياسة ، فساقها التطور إلى استبدال كثير من صفاتها القديمة بصفات جديدة ، فاستبدلت بالحياء الجرأة ، وبالخشية الاقدام ، وبالسكون الحركة ، وبالسذاجة الحيلة ، وبالعبودية الحرية ، وبالعاطفة العقل . وأعتقد أن هذه الصفات الجديدة لا تفسد جمال المرأة بل تزيد سحرها قوة ، لأن العلم لا يجفف القلب بل يبدد ظلمات الغريزة ، وينير طرائق العقل ، ويكشف عن جمال الأشياء ، ويولد في المرأة صفات نفسية مشابهة لصفات الرجل في تفكيره وانفعاله وفعله ؛ ويقلب حياة المرأة الاتباعية الى حياة مفعمة بالحرية والإبداع . وما أدري لعل التطور يكشف لنا في المستقبل عن نوع جديد أكمل من هذه الأنواع الأربعة تتحد فيه العاطفة بالفكر والإرادة بالعقل . إن الأحلام ليست أقل تأثيراً في التطور من اشتباك الأسباب الحقيقية واختلافها .

جميل صليبا
رئيس التعليم الثانوي بدمشق

من رسائل الفن

رأيت في نومي البارحة رؤيا أفزعتني : رأيت أني تزوجت . ولم تبين الرؤيا كيف تم ذلك ، ولكن وجدت نفسي على فرش وثيرة من الدمقس الأزرق في حجرة جميلة ذات سجف من حرير متألق متماوج الألوان كقبة الحمامة . وسمعت حولي من يقول :

— هذا جهازها — جهاز من ؟ — عروسك

— ومن الذي زوجني ؟ وممن العروس ؟

— من بيت حسب ونسب . ذات جمال ومال وحلاوة لسان . وهي فرصة كان لا بد من انتهازها . وقد علت بك السن وكاد يفوت أوان الزواج

— ومن انتهز لي هذه الفرصة ؟

— أولاد الحلال ، من قرائك المعجبين الذين يهتمون لأمرك

— شيء لطيف . وهؤلاء القراء المعجبون الذين زوجوني ، كيف فعلوا ذلك ؟ وأين وجدوا لي هذه العروس ..؟

— لا شأن لك بكل هذه التفاصيل . ولا تشغل بالك إلا بما أنت فيه من نعيم مقيم

— والعروس ؟ أسبق لي رؤيتها ؟ — لا . ستراها الليلة

— عجباً ! وكيف يزوجوني ممن لم أرها ونحن في القرن العشرين ؟ آه أيها الناس ! إن هذا جاوز الحدود ...

— هي أيضاً لم ترك — أقرأت كتبي ؟

— لو كانت قرأت كتبك لما تزوجتك

— وكيف إذن أقنعوها ؟

— قالوا لها عنك كل شيء إلا الأدب والتأليف . فقد وجدوا من الحكمة وأصالة الرأي كتمان ذلك عنها إلى أن يتم العقد ويتعذر النقض

وفتحت عيني في الصباح وأنا أقول : « اللهم أحمدك على استيقاظي قبل تمام العقد ، وقبل مواجهة الفتاة بذلك العيب الذي لا يغتفر ! نعم ان المرأة لن تتغير . إن شئون الفكر عندها شيء مخيف وكم من شعراء وأدباء أخفوا على نسائهم كنوز عقولهم ولم يظهروا لهن إلا كما يريدهم : رجالاً مستدلين كثقة الرجال ! »

توفيق الحكيم